الروح والمادة

سنتناول في هذا الموضوع مشكلة تُعاني منها البشرية كلها، فالبشرية تعاني إغراء شديداً، والمادة أغرقت الناس فأغفلوا الروح تماماً.

بدايةً أُنبه أنني لا أعني أن نعيش لروحنا وننسى جسدنا، فهما ليسا منفصلين بأي حال.

ولكي نفهم هذا الموضوع لا بدَّ أن نرجع إلى البداية، والبداية التي أقصد ليست بداية هذا القرن، أو الذي قبله، وإنما بداية الخلق...

كيف خلقنا الله؟ وممَّ خلقنا؟

لقد خلق الله مخلوقات كثيرة من مادة واحدة، فخلق الملائكة من نور، والجن من نار، ولكن الإنسان هو المخلوق العاقل الوحيد الذي خلق من مادتين ألا وهما: الجسد والروح.

والجسد غلاف خارجي له تجويف، أما الروح فهي التي تدخل في هذا التجويف، ولكلٍّ منهما مصدره وغذاؤه، فالجسد مصدره طين الأرض، فغذاؤه كل ما يصل إليها مثل الأكل والشرب والملابس الجميلة وعلاقة الرجل بالمرأة، أما الروح فمصدرها نفخة

علوية من الله ﷻ وضعت في آدم عليه السلام... قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٩].

ماذا يحدث إذا لم نحقق التوازن بين الروح والمادة؟

فغذاؤها كل ما يوصل إلى الله مثل قراءة القرآن، وأن ترفع يديك، وتقول: يا رب.. وغير ذلك كثير.. فالروح هذه محبوسة داخل الجسد، ولا يمكن أن تصل إلى الله إلا إذا كان الجسد خفيفاً.. فمشكلتنا الحقيقية هي: إصرارنا على أننا مكوّنون من مادة واحدة، فلقد نسينا الروح وأخذنا نُغذي الجسد، وأهملنا الروح وأخذناها حتى تعبت وشاخت وانهارت.!!

مثلاً، لو بقي شخص أسبوعاً بلا طعام ماذا سيحدث له؟ ماذا سيحدث له إذا لم يشرب لمدة ثلاثة أيام؟ سيموت طبعاً.. وهكذا الروح، فالإنسان إذا لم يذكر الله سنة ستموت روحه، ولكنها تموت ببطء عكس الجسد الذي يموت بسرعة، مما يجعل الإنسان يظن: أن جسده فقط هو الذي سيموت، فلا يتركه أبداً ولا يهمله، ويظل يغذي فيه ناسياً أن له روحاً.

وهذا ما نراه في الغرب، فالناس يشعرون بالتعب بالرغم مما هم عليه من سعة عيش ورخاء، في حين أن الناس في بلادنا أكثر استقراراً رغم حياتهم القاسية الصعبة.

ومن أكثر الأمثلة التي تفسّر كلامنا.. أننا قد نجد اثنين يصليان معاً في نفس الصف وراء نفس الإمام، ويسمعان نفس الآيات بصوتٍ واحد ولكن أحدهما يبكي والآخر لا يشعر بشيء، فالأول: روحه متصلة بالله، والثاني: روحه ضعُفَتْ وماتت، ولو كان لها

صوتٌ لسمع أنينها، وهي تقول له: حرام عليك! متى ستعي أنني بحاجة للغذاء والارتواء كجسدك تماماً؟

ولقد جسد القرآن هذه الحقيقة...في سورة نقرأها جميعاً، ولكننا قد لا نتفكر فيها وهي سورة: «التكاثر»، ففي بداية السورة يقول تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]. والتكاثر هنا لا يعني التكاثر في الأولاد فقط، وإنما التكاثر في الأموال والسيارات والملابس والأولاد...

والنهي هنا ليس نهياً عن التكاثر وإلا كان ذلك رفضاً للمادة، وإنما هو نهي عن إلهاء التكاثر... يعني إلى متى سيلهيكم التكاثر؟!! وبعد ذلك توضح السورة نهاية الجسد ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] فنهايته مقبرة، والآيات بعد ذلك تتوعد الذين عاشوا لأجسادهم فهناك خمسة تهديدات لهم ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٣ ـ ٨].

وهنا نجد سؤالاً يطرح نفسه، ماذا سيحدث إذا لم يتحقق هذا التوازن؟

لنتخيَّل كيف تكون صورة إنسان عاش لجسده ونسي روحه؟

فهذا الإنسان إما ألا يكون عنده إشباع أبداً، فمهما أشبعته لن يكتفي، وهذا يفسر الشذوذ الجنسي الذي يعاني منه الغرب، أو يمكن أن يعاني من الاكتئاب فالإسراف، والإغراق في المادية من أسباب الاكتئاب.

إذا لم يحدث هذا التوازن، إما أن يصل الإنسان إلى يأس تام من المادة، وبذلك يكون الله قد هداه إلى طريق الهدى، أو يقضي على نفسه بنفسه عن طريق الاسترسال لهذه الشهوات.

مما يشعر أنه يعيش بلا هدف، ويحس أنه تائه فيحدو به الأمر إلى الانتحار.

وقد يشعر أحياناً أنه متعب ومرهق نفسياً، وأنه يريد أن يرجع إلى الله، ولكن خبث الشيطان يشعره دائماً أنه لن يصل، وأنه لا توجد منه فائدة ويقول له: أنت كلما تركت الذنب رجعت إليه مرة أخرى.

لو دمجنا الروح مع العلم سنكون أحسن دول العالم.

وأحب أن أعلق على هذا القول: إننا نملك ميزة ليست موجودة عند الغرب، فنحن عندنا الدين والعلم، ولكن الغرب فصل بينهما، فنحن شعب متدين، وبداخله فطرة سليمة مهما عمل من معاصي.

عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا فتح الله عليكم مصر، فاتخذوا فيها جنداً كثيراً، فذلك الجند خير أجناد الأرض**». فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال: «**لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة**» [ورد في كنز العمال] ورباط هذه معناها: أنهم متمسكون بدينهم حتى يوم القيامة.

هل الإسلام ضد المادية؟

سأسرد لكم قصة لطيفة:

بعد إسلام عمرو بن العاص بخمسة شهور قابله النبي ﷺ فقال له: «**خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني**». فأتاه وهو يتوضأ فصعّد في النظر، ثم طأطأ فقال: «**إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلّمك الله ويغنّمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة**». قال: قلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال: «**يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح**». [رواه البخاري والإمام أحمد في مسنده].

وهذا هو مفهوم الزهد في الإسلام: أن تكون الدنيا في يديك، وليست في قلبك.

الحسن البصري كان يُحب الأكل فكان بديناً، وكان ضخم الكتف، ومع ذلك كان سيد العابدين، حتى أن أحد الشعراء قال عنه بما معناه: «إذا كان عرض زنده شبراً وهو زاهد، فكيف لو لم يزهد»؟!!

سأل رجل الإمام ابن حنبل: يا إمام أيكون الرجل معه ألف ألف درهم ويكون زاهداً؟!! قال: نعم، قال: كيف؟ قال: إذا زادت لم يفرح، وإذا نقصت لم يحزن.

وإذا نظرنا إلى العشرة المبشرين بالجنة: نجد أن

عبد الرحمٰن بن عوف، مات وعنده ثمانية مليون درهم، وقال عنه ﷺ: «**لو رفع حجراً، لوجد تحته ذهباً**». وأيضاً عثمان بن عفان جهز جيشاً من جيوش المسلمين.

نصل من هذا كله الى أنه لا يوجد تعارض بين الروح والجسد، فقد تكون ناجحاً في حياتك، وتكون متديناً أيضاً، ولكن لا بد أن نصفق التوازن بينهما.

هل المادة هي المسيطرة؟!

من العجيب أننا نرى أن الله تعالى إذا أراد أن يردنا إلى الروح، فإنه يُحطّم في أعيننا فكرة أن المادة هي المسيطرة على نواميس الكون، والأمثلة على ذلك كثيرة:

ـ فالسكين عملها أن تقطع وتذبح.. فهذه مادية، ولكن الله تعالى أمرها ألا تقوم بعملها هذا عندما وضعت على رقبة إسماعيل.

والله هو الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وعندما سأله النبي ﷺ: «**ما أجمل أيام عشتها في حياتك؟**» قال: الأيام التي قضيتها في النار.

وهو تبارك وتعالى الذي قال للحوت: ابلع يونس، وقال للماء: كن كالجبال حتى يمر موسى.

قصص من الواقع

اسمي أولجا محمد... أوروبية الأصل، تزوجت مصرياً، عندي ولدان: ليلى وأحمد، شعبنا كله في أوروبا ـ بعد الحرب

العالمية ـ كان ملحداً، وعندما تزوجت كنت أظن أن زوجي هكذا، وبدأنا حياتنا في مصر، فتعجبت من تصرفاته ورأيته يصلي، فطلبت منه أن يعلمني الفاتحة وبعض السور القصيرة، ولكني ما كنت أعرف عدد ركعات الصلوات.

وفي أحد الأيام كانت عندي في المنزل طفلة صغيرة، ابنة إحدى الصديقات عمرها سبعة أشهر تقريباً، وفجأة سمعتها تصرخ فوجدتها تقع على رجليها وترتعش من الكهرباء، فقلت: الكهرباء 220 فولت، لا بدّ أن تكون قد ماتت، هكذا يقول العلم ـ ففكرت أن أنقذها، لأنها أمانة عندي، وظننت أنني هكذا سأموت..

وبعد ذلك وجدت نفسي أرى كل شيء في الغرفة، إذن أنا لم أمت، قلت لحظتها: سبحان الله، الله أكبر فوق كل شيء، وكان هذا أول يوم أصلي فيه... بكيت كثيراً، وحمدت الله وشعرت كم كنت ضائعة، كان إحساسي كإحساس الطفل الضائع الذي كان يبحث عن أمه ثم وجدها.

بعد ذلك أردت أن ألتزم بالحجاب، ولكن فكرت في أهلي ماذا سيقولون عني؟ ولكني قلت: أنا أعمل لله وليس للناس، وفعلاً لبسته وكنت سعيدة جداً، لم أشعر بالخجل أو الضِيق أو الحر أو التعب كما كنت أتصوَّر؛ بل شعرت براحة غريبة، وقلت: ليتني التزمت به من زمان.

وعندما قارنت بين حياتي قبل الإسلام وبعده.. أحست براحة ما شعرت بها أبداً قبل إسلامي.

أحب لو شرحت كيف كنت قبل الإسلام؟ وكيف أصبحت بعده؟ وما رأيك في موضوع الروح والجسد؟

إن المجر كانت بلداً شيوعياً لا يوجد فيها دين، ولا حساب، ولا فكرة يوم قيامة، ولا الروح، فلا يمكن أن نُصدق شيئاً لا نراه ولا نلمسه.

وكنت أعمل كل ما أريده؛ لأنه لا يوجد إلٰه يُحاسبني ولا من يوم تقوم فيه القيامة، ومع هذا فهذه الحرية كانت تُسبب أمراضاً كثيرة للناس كالضغط العصبي والنفسي وذلك؛ لأن الإنسان يعتمد على نفسه في كل شيء، ولا يعتمد على الله.

قرأت في القرآن أن الله تعالى سأل الخلق: هل آمنتم بربكم؟ فقالوا: بلى، فقلت: كيف يقدر أي شخص أن يقول لا يوجد إلٰه؟ في الصين مثلاً، يقولون: لو كان هناك إله ما عبدناه.

طبعاً هي تقصد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فالله تعالى بعد أن خلق آدم أخرج من ظهره ذريته إلى يوم القيامة، وقال لهم: ألست بربكم؟! قالوا: بلى شهدنا، قد نقول نحن لا نتذكر هذا، ولكن هذا الموقف داخل عقولنا وإمكانياتنا، فبداخلنا فطرة فطرنا الله عليها وهي أننا محتاجون دائماً إليه، فأرواحنا مشتاقة إلى الله تريد أن ترجع إليه، وهذا يفسر ما حدث وسط الجمهوريات الروسية الشيوعية التي بقيت تدرس الإلحاد سبعين

عاماً، وعندما سقط الاتحاد السوفياتي طالبت هذه الجمهوريات بالإسلام.

كيف تقضين يومك كامرأة مسلمة؟

الحمد لله كامرأة مسلمة أبدأ يومي بالصلاة وأقرأ القرآن.

فعندنا مثلاً من يتعلَّم لغة لا بد أن يعرف كيف يقرأها، ولكني أجد كثيراً من المسلمين ورثوا الإسلام عن آبائهم ولكنهم لا يجيدون قراءة القرآن.

لقد حدثت نهرة كبيرة بيننا وبين القرآن، أولها كانت تقرأ القرآن مترجماً من العربية للإنجليزية، ومن الإنجليزية للمصرية ونحن عرب، ولا نقرأ القرآن حتى اذا نتعنا المصحف تعثَّرنا، وما عرفنا كيف نقرأ.. نحن لا نفتح المصحف الا في رمضان وبعد رمضان يشتكي القرآن من كثرة التراب عليه. جاء عبد الله بن عمرو الى رسول الله قال: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: «اقرأهُ في كل شهرٍ»، قال: قلتُ: انّي أقوى على أكثر من ذلك، قال: «اقرأه في عشرين». قال: قلت: اني أقوى على أكثر من ذلك، قال: «اقرأه في خمس عشرة». قال: قلت: اني أقوى على أكثر من ذلك، قال: «اقرأهُ في سبع». قال: قلتُ: اني أقوى على أكثر من ذلك، قال: «لا يفقَهُهُ من يقرؤُهُ في أقل من ثلاثٍ».

أرجو ان يكون هذا الكلام مؤلماً فالمصاحف معلقة في بيوتنا للزينة وللحفظ من العين.

كيف نحقق التوازن؟

ولكي أحقق التوازن بين الروح والمادة هناك طريقة سهلة، عندما تقوم بعمل مادي فبادر بعملٍ روحي مثلًا: جلست تتحدثين في الهاتف ساعة، اذكري الله بعدها... شاهدت التليفزيون نصف ساعة.. اقرئي قرآناً نصف ساعة.. اشتريت ثياباً جديدة، تصدَّقي بجزء من ثمنها...

من يستطيع أن يحقِّق هذا التوازن سيعيش أجمل وأسعد حياة.

النبي ﷺ علَّمنا كيف نحقق هذا التوازن عندما قال:

«إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه» [رواه البخاري].

الواحد منا يبقى يشاهد التلفزيون حتى الثالثة صباحاً، ولكن إذا قيل له: قُمْ وصَلِّ الفجر، يقول: آسف أنا عندي عمل الساعة التاسعة صباحاً، ولا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها.

لو قيل لشخص: ستجد خمسمائة جنيه الساعة الخامسة صباحاً تحت عمارتك ماذا سيفعل؟!

طبعاً سينزل ليأخذها، وحتى إذا لم يستيقظ هو، فإن زوجته ستوقظه، ولكن عند الروح وعند إرضاء الله نجده يقول: (يا عم ربك رب قلوب معليش نام!).

غَذِّ روحك مثلما تُغذِّي جسدك، فلكل منهما حقاً فأعطه

حقه.. احرص على طاعة ربك، حافظ على الصلاة في أول وقتها وفي المسجد.

وفي النهاية..أدعو كل من يريد أن يُغَذِّي روحه أن يذكر الله ولو عشر دقائق، فهذه وصفة أقدمها لكل من يعاني من اكتئاب... ولكل امرأة عندها مشاكل فالله تعالى قال:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبَّل منا، وأن يُعيننا على طاعته وعلى القرب منه، وأستغفر الله لي ولكم.

كنوز من عالم الروح

المواد الجامدة تستبشر بالذكر!!

قال ابن مسعود ﷺ: إن الجبل لينادي باسمه: يا فلان، هل مرّ بك أحدٌ ذكر الله ﷻ؟ فإن قال: نعم، استبشر.

في غذاء الروح لذة للبدن!!

يقول أحد السلف: لو يعلم أبناء الملوك ما نحن فيه من لذَّة لقاتلونا عليها.

وفيه شبع أيضاً!!

قال عثمان بن عفان: لو صلحت قلوبكم ما شبعَت من كلام ربكم.

المادة يدبُّ فيها الروح من حب الذِكر!!

لما تحول الرسول ﷺ عن الشجرة التي كان يقف عليها إلى المنبر، جعلت الشجرة تئِن أنين الصبي الذي فقد حنان أمه، فجعل النبي ﷺ يربّت عليه ويمسح عليه حتى استقرَّ وخَفَتَ أنينه، قال: **«بكت على ما كانت تسمع من الذِكر»**.

وقد كان ﷺ يذكر الله في كل أحيانه، لا يفتر لسانه عن الذكر.

وكان الحسن البصري إذا روى هذا الحديث يبكي ويقول: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله، فأنتم عباد الله أحق أن تشتاقوا إليه.

اخرج تحرر من قيدك وانطلق في ملكوت الروح.